

الفصل الثالث
أسباب حدوث سلوك إيذاء الذات

obeikandi.com

الفصل الثالث

أسباب حدوث سلوك إيذاء الذات

(١) Etiology (history and causes)

١- الصدمات الماضية، الضعف (الوهن) كمقدمات :

لجريت دراسات حول تأثير الصدمات الماضية Past- trauma (٢)

والبيئات المضعفة invalidation (٣) باعتبارها مقدمات لسلوك إيذاء الذات.

(١) علم مسببات الأمراض Etiology : استقصاء أسباب ظاهرة أو سلسلة ظواهر معينة. وفي الطب استقصاء علة مرض أو أمراض، العوامل السببية المهينة والمعجلة التي تسفر عن اضطراب . استقصاء العلاقات الصلبة في الأمراض : دراسة أسباب أو بدايات أخذ الأقراس. ولا ينبغي استعمال اللفظ للسبب ذاته بل دراسة أصل الداء وعلته واستقصاء طبيعة واستجابة الانسجة المصابة، واستجابة الشخصية ككل لنتائج المرض (كمال دسوقي : ذخيرة علوم النفس ، ج١، القاهرة : الدار الدولية للنشر، ١٩٨٨، ٥٠٩).

(٢) صدمة أو إصابة Trauma : أى إصابة جارحة : جسمية كانت أو نفسية فى صورة صدمة انفعالية تحدث اختلالاً مستديماً قل أو كثر لوظائف العقلية، ويتسع اللفظ فتدخل فيه الصدمات النفسية وخيبة الأمل القاسية ، أى مشاهد مأسوية. أية خبرة توقع بالكائن تلقاً جسمىاً أو ضرراً نفسياً. وفى التحليل النفسى : أى اثاره تنبيه من الشدة بحيث لا يمكن التحكم فيها أو تفرغها بكفاية (كمال دسوقي : ذخيرة علوم النفس، ج٢، القاهرة: وكالة الاهرام للتوزيع ، ١٩٩٠، ١٥٢٨).

(٣) البيئات المضعفة أو الموهنة Invalidating environments : اسم أطلقه لينهان Linehan (١٩٩٣) على البيئة المريضة وغير الصالحة، وهى بيئة رافضة أو تستجيب بشكل شاذ وغير مناسب للخبرات الخاصة. ويجهز الآباء بيئة غير مناسبة عندما يهملون أحاسيس ومشاعر أطفالهم ويواصلون اسهامهم فى سلوك أطفالهم المتمثل فى الكسل والبخل والخسة والندالة والمراوغة أو التحايل... وخصائص أخرى غير مناسبة ، مؤكداً على الضبط والرقابة بدلاً من الاهتمام بالتعبير المناسب عن الانفعالات، بون مراعاة إلى أى حد يسهل على الطفل مواجهة المواقف الصعبة، وتمثل الاساءة الجنسية نمونجاً واضحاً للخبرة غير المناسبة للأفراد الذين يعانون من اضطرابات حادة فى الشخصية (محمد السيد عبدالرحمن : علم الامراض النفسية والعقلية. ج٢، القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ٤٠٥).

فلقد قام كلاً من فاندركولك ، ويرى ، وهيرمان , Vander Kolk Perry and Herman (١٩٩١) بإجراء دراسة على عينة من مؤذّي الذات الذين استخدموا سلوك القطع (التشويه البدني) والانتحار ممن تعرضوا لاساءة المعاملة كإطفال Child Abuse^(١) فوجدوا أن التعرض للعقاب البدني أو الإيذاء الجنسي، أو الإهمال البدني أو الإهمال الانفعالي أو حالة التشويه الأسرى (والتي تحدث في مرحلة الطفولة، ومرحلة الكمون latency ، ومرحلة المراهقة) كلها تعد مؤشرات ومنبئات بمقدار وشدة القطع.

وكما بدأت اساءة المعاملة مبكراً كان الأفراد أكثر احتمالاً لممارسة القطع، (التشويه البدني) وكان القطع شديداً . إن ضحايا الاساءة الجنسية Sexual abuse أكثر احتمالاً لأن يقوموا بسلوك القطع. ولقد لخص الباحثون ذلك بقولهم:

" إن الإهمال يعد أكبر منبئ بسلوك تدمير الذات . وهذا ما يتضمن أنه برغم أن صدمة مرحلة الطفولة تساهم بشكل كبير في مبادأة سلوك تدمير الذات، فإن الإفتقار إلى التعاطف

(١) اساءة معاملة الاطفال Child Abuse : الأفرط المتعمد في استخدام القوة المفروضة على الطفل.. ويوجد نوعان من الاساءة . الأولى : الاساءة البدنية : ويستدل عليها من الحاق أى ضرر جسمي كنتيجة لأفعال من جانب الوالدين أو أولياء الأمور أو أحد الراشدين ينتهك المعايير الاجتماعية الخاصة بمعاملة الأطفال عن طريق : العقاب البدني، الدفع، الركل، الضرب بشدة أو بأشياء حادة ، استخدام العنف.. والنوع الثاني: الاساءة الجنسية : وتتضمن اجبار الطفل بالقوة على ممارسة نشاط جنسي، أو أن يفرض مراهق أو راشد نفسه على الطفل ويعتدى عليه جنسياً، أو الاستئثار للأطفال دون سن البلوغ من أفراد أكبر منهم.. وقد يدخل في اساءة معاملة الأطفال النبذ والإهمال والتهديد والاذلال (انظر حسن مصطفى، هدى قناوى : علم نفس النمو، ج٢، (المظاهر والتطبيقات). القاهرة . دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ٢٨١). وقد يضاف إلى اساءة معاملة الاطفال الاساءة العاطفية في صورة النقد والإهمال، والنبذ، والقسوة، وتكليف الطفل بما لا يطيق... الخ .

الامن Secure attachment^(١) يبقى على هذا السنوك
المخرب للذات. انهم أولئك الذين لا يستطيعون تذكر المشاعر
الخاصة أو لا يستطيعون أن يحبوا أو أن يحبهم شخص ما
عندما كانوا أطفالاً ... فإننا نجدهم على الأقل غير قادرين
على ضبط سلوك تدمير الذات.

وفي نفس المقالة لاحظ فاندر كولك وزملاؤه Vander Kolk et al. أن
الانفعال وتكرار الخبرات الانفعالية يتصل بوجود سلوك إيذائي للذات . إن
الانفعال في مرحلة الرشد يتصل إيجابياً بسوء المعاملة، الإهمال، الصدمة التي
تعرض لها الفرد وهو طفل.

(١) التعلق attachment : انجذاب أو اعتماد انفعالي بين شخصين . حالة كون المرء
منجذباً انفعالياً لشخص معتمد عليه اعتماداً كلياً في اشباعاته الانفعالية (كمال
دسوقي : نخيرة علوم النفس ، ج١ ، القاهرة : الدار الدولية للنشر ، ١٩٨٨ ، ١٤٣).
وهو الميل من جانب الطفل للبحث عن عضو آخر من نفس النوع .. ان التعلق يتركز
عادة على أفراد معينين فقط ، في حين تظهر استجابات الخوف - بالنسبة لأفراد
آخرين. فصفار الأطفال يبحثون عن اتصال بصري أو سمعي أو جسدي أو قرب من
الفرد الذي يتعلق به .. وهناك دليل آخر على التعلق هو احتجاج الصغير أو حزنه
عندما يفصل عن الفرد الذي يتعلق به . أي في حالة الانفصال عن الوالد كقاعدة أمنة
يكشف من خلالها البيئة ، يتضمن ذلك : الاقتراب من الوالد، والخوف من الغياب،
الابتسام والتحدث للاب أو التعلق بالوالد ... وفي معظم الأبحاث اتجهت سلوكيات
التعلق هذه نحو الأم، وان كان بعض الأطفال يتعلقون بالاب. وقد ساهمت الأبحاث في
اطار نظريات التحليل النفسي، والتعلم بأبحاث وغيره في هذا المجال لتفسير سلوك
التعلق الطفلي، كما أظهرت نظريات وأبحاث هادو وجون بولبي وشافر وامرسون
طبيعة عملية التعلق في الطفولة والآثار الجسمية والسيكولوجية المرتبطة بالتعلق الطفلي
(راجع : حسن مصطفى، هدى قناوى: علم نفس النمو . ج٢ ، (المظاهر والتطبيقات)،
القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠ ، ٢٨٦-٣٠٩).

ولقد كان أكثر مؤيد لنظرية أن إساءة المعاملة البدنية والجنسية
وصدمة الطفولة تعد مقدمات هامة لهذا السلوك هي تلك المقالة التي نشرت
فى المجلة الأمريكية للطب النفسى عام ١٩٨٩، فلقد قدم جرينسبان
وصمويل Greenspan and Samuel ثلاث حالات للنساء اللاتى سلكن
سلوك قطع الذات بدون أى أعراض نفسية مرضية ولكن تعرضن لصدمة
الاغتصاب traumatic rape (١) .

انضعف (الوهن) مستقل عن إساءة المعاملة

Invalidation independent of abuse

برغم أن سوء المعاملة البدنية والجنسية قد تعجل بحدوث سلوك تدمير
الذات فإن العكس لا يحدث، إذ أن كثيراً من الذين يقومون بإيذاء الذات لم يعانون
من أى إساءة فى مرحلة الطفولة.

ولقد أوضح زويج - فرانك وآخرون. Zweig - Frank et al. (١٩٩٤)
أنه لا توجد علاقة على الإطلاق بين إساءة المعاملة والانفصال (الانشقاق أو

(١) الاغتصاب rape : أى نشاط جنسى يفرض بالقوة أو يجبر عليه فرد آخر . وتتباين
ضحايا الاغتصاب بين أطفال فى سن ما قبل المدرسة الى نساء فى الثمانينيات من
العمر. وكما هو متوقع فإن الجانى فى أغلب الحالات يكون من الذكور ، وكثيراً ما
لايراعى المغتصب نوقاً جمالياً أو تفضيلاً فى اختيار موضوعات اعتدائه الجنسي، فقد
يقرر اغتصاب أى امرأة يقابلها، وكثيراً ما يلحق المتغصبون أضراراً جسيمة
بضحاياهم أو يقتلونهم بقسوة ، وليس غريباً بالنسبة للنسوة المقاومات لمهاجمين تلقى
اصابات جسمية خطيرة ككسر الضلوع ورضوض العظام وكدمات البطن وهرس
الثديين ومختلف الاصابات الراجعة الى الايلاج بالقوة ، وإذا اجتمع عدد من الجناه
فان الأذى يكون بالغاً جسماً ونفسياً ويترك آثاره على الحالة النفسية للأثنى مع زوجها
فيما بعد (كمال دسوقى : علم الأمراض النفسية : التصنيفات والأعراض المرضية.
بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ ، ٣٧٢).

التفكك (dissociation) ^(١) وإيذاء الذات بين المرضى نوى اضطرابات الشخصية .

كما أوضحت الدراسة التتبعية التي أجراها برودسكى وآخرون Brodsky et al. (١٩٩٥) أن سوء معاملة الطفل ليست علامة للانفصال وإيذاء الذات وهو فى مرحلة الرشد . ونظراً لما أسفرت عنه هذه الدراسة ودراسات أخرى بالإضافة الى الملاحظات الشخصية : فانه صار من الواضح أن هناك بعض السمات الأساسية التي تظهر فى الأفراد الذين يقومون بإيذاء الذات ولا تظهر فى غيرهم. وأن العامل المسبب لذلك هو شئ أكثر من إساءة معاملة الطفل.

وقد ذكر لينهان Linehan (١٩٩٣-١) أن الأفراد الذين يقومون بإيذاء الذات نشأوا فى "بيئات ضعيفة واهنة" . فإذا كان البيت سئى المعاملة بالتأكيد نطلق عليه "البيت الضعيف" مثلما يحدث فى بعض المواقف "الطبيعية" . وفى ذلك يقول لينهان Linehan :

" إن البيئة الضعيفة (المعتلة) هى تلك التى يواجهها الطفل فيها تواصل فى الخبرات الخاصة باستجابات خاطئة أو غير

(١) التفكك أو الانفصال dissociation : تقطع الروابط من أى نوع فى أى ضرب من الترابط أو الانضمام . وهو مفهوم يدل على انشقاق عناصر عقلية معينة عن بقية العناصر . والتفكك التدريجى للشعور الموحد يسمى بالتدخل disruption ، والعناصر المفككة أو المنفصلة توجد فى الشعور أو فى اللاشعور حيث تزاوّل أثرها الضخم على سلوك الفرد. والتفكك أو التشقق قوامه تفتت النفسية مع وجود فى نفس الوقت لمظاهر مرضية واستجابات سوية ، وافتراق بين الفكرة والتعبير عنها. وتدل على الانفصال عن الشخصية ككل ، ونمط مركب لعمليات سيكولوجية قد تؤدى حينئذ وظانفها فى استقلال عن بقية الشخصية (كمال دسوقى : ذخيرة علوم النفس، ج١، القاهرة : الدار الدولية للنشر ، ١٩٨٨ ، ٤١٠).

مناسبة أو متطرفة .. وبمعنى آخر فإن التعبير عن الخبرات الخاصة لا تكون ضعيفة ولكن دائماً يعاقب أو يهان عليها. إن خبرة ومعايشة الانفعالات المؤلمة لا ينظر إليها بعين الاعتبار، في حين أن تفسيرات الأفراد لسلوكياتهم الخاصة تشمل مقاصد ودوافع السلوك ...

إن الضعف له سمتين أساسيتين هما :

أولاً : أن يخبر الفرد أنه على خطأ في وصفه وتحليله لخبراته الشخصية وخصوصاً رؤيته لأسباب أنفعالاته ومعتقداته وأفعاله .
ثانياً: أنه ينسب خبراته إلى سمات إجتماعية غير مقبولة أو إلى سماته الشخصية.

وهذا الضعف قد يكون له أشكال متعددة :

- * " أنت غاضب ولكنك لا تريد أن تعترف بذلك".
- * " أنت تقول لا ، ولكنك تريد نعم ، وأنا أعرف ذلك".
- * " أنت بالفعل تفعل ذلك . كفاك كذباً (وأنت تعلم أنك لم تفعلها)".
- * " أنت سريع الحساسية".
- * " أنت كسول جداً".
- * " لن أدعك تتعامل معه هكذا".
- * " إبتهج وإنسى. إنى أعلم أنى قادر على الشفاء".
- * " أنظر إلى الأشياء بتفاؤل وكفاك تشاؤم".
- * " إنك لم تحاول بما فيه الكفاية والجدية".
- * " سأعطيك شيئاً تبكى عليه".

أن كل إنسان يعايش هذه المواقف من وقت لآخر، ولكن بالنسبة للذين نشأوا في بيئات معتلة فإن هذه الرسائل والمواقف يستقبلونها بشكل دائم. وقد يكون الوالدان يقصنونها بشكل سليم وجيد ولكنها تؤثر سلبياً على

مشاعر الطفل الذي يعبر عنها ، والنتيجة هي إعتلال غير مقصود . وقد يؤدي الإعتلال المزمن الى إعتلال الذات وتدمير الذات تحت الشعورية Subconscious^(١) أو "أنا لا أبالي" - تلك هي المشاعر التي وصفها فاندر كوك وآخرون . Vander Kolk et al.

٢-وجهات النظر البيولوجية والكيمياء العصبية :

Biological Considerations and Neurochemistry

لقد أوضح كارلسون Carlson (١٩٨٥) أن إنخفاض مستويات السيروتونين Serotonin^(٢) يؤدي إلى زيادة السلوك العدوانى عند الفئران . وفى هذه الدراسة فإن موانع السيروتونين تزيد من العدوان وأن الأشياء التي توجد السيروتونين تخفض العدوان عند الفئران .

ونظراً لأن مستويات السيروتونين تتصل بالإكتئاب ، فإن الاكتئاب يعرف بطريقة إيجابية بأنه إحدى النتائج طويلة المدى للعقاب البدنى فى مرحلة الطفولة . ويمكن من خلال ذلك تفسير سبب رؤية سلوكيات إيذاء الذات أكثر

(١) تحت شعورى Subconscious : لفظ يطلق على عمليات من نفس مرتبة العمليات الشعورية لولا حدوثها خارج الوعى الشخصى للفرد، ويستعمل غالباً كمرادف للشعور unconscious ، أو العمليات النفسية التي تحدث على هامش الوعى أو التي تقع أدنى عتبة الشعور . وقد شاع المصطلح كاسم فى قائمة مضطلحات فرويد كمنطقة انتقالية لا بد أن تمر خلالها المواد المكبوتة وهى فى طريقها من اللاشعور الى الشعور - والمرادف ما قبل الشعور Preconscious . كما يستخدم المصطلح كصفة لعمليات لا يكون الفرد واعياً بها لكن يمكن الاتيان بها الى الشعور . وتقع كثير من الذكريات ضمن هذا الصنف (كمال دسوقى : نخيرة علوم النفس ، ج٢، القاهرة : وكالة الاهرام للتوزيع ، ١٩٩٠ ، ١٤٢٤).

(٢) السيروتونين : انظر ص : ٢٧

تكراراً بين الذين تمت معاقبتهم بدنياً فى مرحلة الطفولة عن تكراره بين بقية الناس . (Malinosky - Rummell and Hansen, 1991).

ومن الواضح أن أبرز نقطة للبحث فى هذا المجال هى إفتراض أن إيلام الذات قد ينشأ بسبب الانخفاض فى أجهزة الإرسال العصبية فى المخ . neurotransmitters^(١).

إن الشواهد التى قدمها فينشل وستانلى Winchel and Stanley (١٩٩١) تؤكد أنه برغم أن أجهزة التخدير والتنويم Opiate and dopaminergic لا يبدو أنه ضمن سلوكيات إيذاء الذات ، إلا أن جهاز السيروتونين يؤثر على هذه السلوكيات . فالعقاقير التى تقدم السيروتونين أو تمنع نقصه (بالتالى تجعله يتوافر للمخ) تؤثر على سلوك إيذاء الذات.

(١) أجهزة الإرسال العصبية فى المخ neurotransmitters : يقوم الجهاز العصبى على مجموعة من المشتبكات العصبية Synapses التى تكون شبكة معقدة من التوصيلات تعمل فى شكل أنظمة عصبية لكل منها المادة الكيميائية - الموصل - الخاصة بها والتى يستخدمها كل نظام فى توصيل الدفعة الكهربية ... اذ تحدث حالة التثبيء عندما يصل المثير الى درجة من الشدة بما يسمح بانتقال الدفعات العصبية عبر الخلايا العصبية فى منطقة المشتبكات العصبية حيث تتفجر مجموعة من المواد الكيميائية العصبية التى تستثير جسم الخلية العصبية الأخرى لتبدأ سلسلة جديدة من التوصيلات . ويوجد عدد كبير من الموصلات الكيميائية فى الجهاز العصبى يقرب عدد ما اكتشف منها حتى الآن حوالى ٥٠ موصلاً أشهرها : النورأدرينالين، والاسيتايل كولين، والدوبامين ، والسيروتونين، والهستامين... وغيرها ، وتنتشر هذه الموصلات عبر الجهاز العصبى بنسب مختلفة وفى مناطق مختلفة (سامى عبد القوى : علم النفس الفسيولوجى ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٥، ١٤٥-١٤٨).

ويفترض كلاً من فينشل وستانلى Winchel and Satley وجود علاقة بين هذه الحقيقة والتشابهات الاكلينيكية لاضطراب الوسواس القهرى (١) (المعروف أن العقاقير المعززة للسيروتونين تساعد فى حدوث هذا الاضطراب) وسلوك إيذاء الذات . كما لاحظنا أيضاً أن بعض عقاقير ثبات المزاج (مثل تيجرتول Tegretol والديباكوت Depakote) ، يمكنها تثبيت هذا النوع من السلوك وتجعله مستقراً .

قدم كوكارو وزملاؤه Cocco et al. (١٩٩٧ - ج) الكثير لتأييد الإفتراض الذى يقول : أن عجز جهاز السيروتونين يعتبر متضمناً فى سلوك إيذاء الذات .

ولقد وجدوا أن القابلية للاستثارة irritability (٢) هو الجوهر السلوكى المرتبط بوظيفة السيروتونين، وأن نمط السلوك العدوانى يظهر إستجابة للتهيج ، والإثارة التى تعتمد على مستوى السيروتونين .. فإذا كان مستواه طبيعياً فإن التهيج يظهر فى شكل صراخ ، إلقاء الأشياء، وإذا كان مستواه منخفضاً يزداد العدوان وتتصاعد الإستجابات وردود الفعل للإثارة والتهيج لدرجة إيذاء الذات ، الإنتحار ، والهجوم على الآخرين.

ولقد وجد سيمون وآخرون Simeon et al. (١٩٩٢) أن سلوك إيذاء الذات يرتبط ارتباطاً سلبياً بعدد من المواقع الخاصة بتماسك صفائح الاميبرامين Platelet imipramine binding (فكلما كان عددها بسيطاً عند القائمين بإيذاء الذات فان السيروتونين ينشط)، وقد لاحظوا أن هذا قد يعكس الخلل

(١) اضطراب الوسواس القهرى : أنظر ص : ١٤

(٢) القابلية للاستثارة : أنظر ص : ٢٩

الوظيفى لمركز السيروتونين مع إنخفاض إنطلاق السيروتونين فى منطقة الغشاء قبل المشتبكى Pre - synoptic (١) ... إن الخلل الوظيفى للسيروتونين قد يسهل عملية تشويه الذات . Self - mutilation .

بالاضافة لذلك : فعندما يتم دراسة تلك النتائج فانه يجب النظر الى الأعمال التى قدمها ستوف وآخرون . Stoff et al. (١٩٨٧) ، وبيرماهر وآخرون . Birmaher et al. (١٩٩٠) حيث أن تلك الأعمال تربط إنخفاض عدد مواقع صفائح الامبيرامين imipramine binding بالاندفاعية والعدوان . ويبدو أن أغلب التصنيفات ملاءمة لسلوك إيذاء الذات هى تلك التى تجعله مثل اضطراب التحكم فى الاندفاع (٢) الذى يشبه هوس

(١) منطقة الغشاء قبل المشتبكى Pre-synoptic : فعلى نحو ما ذكر : فان نظام التوصيل الكيمايى العصبى يتكون من مجموعة من الأجزاء العصبية بعضها ينتهى الى نهاية المحور العصبى للخلية، والبعض الآخر الى الخلية العصبية الأخرى التى ينتقل اليها التوصيل. وتعتبر منطقة الاشتباك بين خلية عصبية وأخرى هى ما يطلق عليه المشبك العصبى synapse اذ يوجد بها نهاية محور عصبى لخلية عصبية ، وفى هذه النهاية توجد مجموعة من الحبيبات vesicle التى تحتوى على الموصلات الكيمايية ، كما يوجد غشاءان : الأول : فى نهاية هذا المحور وهو ما يطلق عليه الغشاء قبل المشتبكى Pre-synaptic membrane حيث يوجد قبل المشبك العصبى ، والثانى يوجد فى الجزء الآخر من هذا النظام ويطلق عليه الغشاء بعد المشتبكى Post-synaptic أى يقع بعد المشبك العصبى ويتم فيه استقبال المواد الكيمايية (سامى عبد القوى : علم النفس الفسيولوجى ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٥، ١٤٧).

(٢) اضطراب التحكم فى الاندفاع : أنظر ص : ١٥

السرقنة Kleptomania (١) وهوس شد الشعر trichotillomania (٢) أو القمار القهري Compulsive gambling (٣).

(١) هوس السرقنة Kleptomania : فكرة متسلطة أو فعل تسلطى لسرقنة أشياء ليس للفرد فيها رغبة ، وعدم وجود حاجة اقتصادية ماسة أو رغبة شخصية . وانما يوجد عند الفرد رغبة متسلطة وصراع بالقلق ضد هذه الرغبة ، وينفذ فعل السرقنة بوعى شعورى وبمعاناة لاتنقطع ، فالسرقنة ترتكب غالباً دون احتياط ، والشئ المسروق هو بغير فائدة ، وكثيراً ما يتعلق الأمر بسرقنة نفس الشئ دائماً ، ومن ثم : فهو دافع مرضى للسرقنة لذا يعرف أيضاً بالسرقنة المرضية Pathological stealing (كمال دسوقى : ذخيرة . علوم النفس ، ج٢، القاهرة : وكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٩٠ ، ٧٦٠).

(٢) هوس شد الشعر : جنون تمزيق الشعر - كما فى صور ذهان معينة . ويتميز بدافع لا ضابط له أو تحكماً فيه لاجتثاث الشعر. وقد يكون ميل مرضى لجذب الشعر، أو هوس اقتلاع شعر الجسم أو الرأس أو الحاجبين (كمال دسوقى : ذخيرة . علوم النفس . ج٢، القاهرة : وكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٩٠ ، ١٥٢٣) ويتميز صاحبه بفقدان واضح فى الشعر نتيجة لفشل متكرر فى مقاومة دافع لنتف الشعر. وبتف الشعر يسبقه عادة توتر متصاعد ، ويليه احساس بالراحة أو الرضا. ولايستخدم هذا التشخيص اذا كان هناك التهاب فى الجلد أو اذا كان نتف الشعر استجابته لضلالة أو هلاوس (ICD - 10, 1992) .

(٣) المقامرة القهريه : يتكون هذا الاضطراب من نويات عديدة ومتكررة من المقامرة ، تسيطر على حياة الشخص على حساب القيم والالتزامات الاجتماعية والمهنية والمادية والعائلية. ومثل هؤلاء الأفراد الذين يعانون من هذا الاضطراب قد يخاطرون بوظائفهم ، ويستدينون مبالغ كبيرة ويكذبون أو يخرقون القانون للحصول على المال أو لتفادى دفع الديون .. ويصف المصابون رغبة ملحة شديدة فى المقامرة يصعب عليهم السيطرة عليها، بالإضافة الى الانشغال بأفكار وصور عن عملية المقامرة والظروف المحيطة بها. وتزداد هذه الانشغالات والرغبات الملحة فى الأوقات المثقلة بالكروب من الحياة. ومن المعلوم أن هذا السلوك ليس قهرياً بالمعنى الفنى للكلمة ولايمت بصلة الى العصاب الوسواسى القهري، لكن السمة الأساسية فيه هى : المقامرة المتكررة بشكل مستديم ، والتي تستمر، وكثيراً ما تزداد بالرغم من عواقبها الاجتماعية الضارة مثل : الوقوع فى الفقر واضعاف العلاقات العائلية واختلال الحياة الشخصية (ICD - 10, 1992) .

ولقد قام هربرتز وفافازا Herpertz & Favazza (١٩٩٧) ، هربرتز وآخرون Herpertz et al. (١٩٩٥) بدراسة كيف أن مستويات الدم في البرولاكتين Prolactin تستجيب لجرعة من فينفلورامين - d-Fenfluramine في عينات من الأفراد الذين يمارسون سلوك إيذاء الذات والعينات الضابطة - فوجدوا أن استجابة البرولاكتين في عينات إيذاء الذات كانت متباعدة وضعيفة blunted والتي يقترح أنها عجز في وظيفة المركز قبل المشتبك العصبى "5 - H T".

ولقد وجد ستاين وآخرون Stein et al. (١٩٩٦) أن هناك تبادلاً مشابهاً في استجابة البرولاكتين في الفينفلورامين Fenfluramine في عينات الأفراد المصابين باضطراب الشخصية القهرى ، كما وجد كوكارو وآخرون Coccaro et al. (١٩٧٠) أن استجابة البرولاكتين تختلف بشدة حسب درجات أفراد العينة في مقياس العدوان عبر تاريخ الحياة.

ولم يتضح ما إذا كان سبب هذه المعوقات هو خبرات الصدمة / سوء المعاملة/ الوهن والضعف ، أو يرجع سببها إلى أن بعض أفراد هذا النوع من الشنوذ المخى قد عاشوا صدمات حياتية تمنع من تعلمهم طرقاً فعالة لمواجهة الأسى والتي تجعلهم يشعرون بعدم التحكم فيما يحدث في حياتهم ، وبالتالي يلجأون إلى سلوك إيذاء الذات كطريقة للمواجهة .

إن أغلب الذين يقومون بتشويه الذات لا يمكنهم تفسير ذلك وتوضيحه ولكنهم يعرفون متى يوقفون الجلسه . فبعد إحداث الإيذاء فإن الحاجة تكون - بطريقة ما - إلى الرضا، وأن يشعر القائم بإيذاء الذات بالهدوء والأمان.

ولقد أشارت إحصائية أوردها كونتاريو وفافازا Conterio and Favazza (١٩٨٦) إلى أن ١٠٪ فقط من المستجيبين أشارت تقاريرهم إلى الشعور بالألم المبرح ، وأشار ٢٣٪ إلى الشعور بالألم متوسط (معتدل) ، في حين أن ٦٧٪ شعروا بالألم قليل أو لم يشعروا بالألم على الإطلاق. ولقد تناول

القائمون بتشويه الذات، عقار نالوكسون Naloxone الذى يرد أو يعكس التأثير (الذى يشمل الإندورفين **endorphins** ^(١) ومهدئ الأم الجسد الطبيعى) فى إحدى الدراسات ولكن لم تثبت فاعليتها. (راجع : Richardson and Zaleski, 1986) .

ولقد أثارت هذه النتائج إهتمام هانيز وآخرون Haines et al. فى دراستهم التى وجدت أن خفض التوتر النفس/فسيولوجى **Psychophysiological tension** ^(٢) قد يكون هو الغرض الرئيسى من

(١) الإندورفينات **endorphins** : هى إحدى أفيونات المخ التى يفرزها كل من المخ والغدة النخامية. وتتكون من ٣١ حمضاً أمينياً، ولها قوة هائلة فى تسكين الألم التى تبلغ فى بعض المواد الى ٥٠ ضعفاً من مفعول الأفيونات الطبيعية. ولذلك يعتقد أن هذه المادة تدخل فى العمليات الخاصة بإدراك الألم والسيطرة عليه (سامى عبدالقوى : علم النفس الفسيولوجى . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٥، ١٥٢-١٥٣).

(٢) التوتر النفس/فسيولوجى **Psychophysiological tension** التوتر شعور بالشد أو الجهد **strain** .. احساس عام باختلال التوازن وبأهبة الاستعداد لتبديل السلوك لمواجهة عامل تهديدى للموقف .. وفسيولوجيا : يدل على الشد الذى تحته يبقى انقباض عقلى توتراً على عضلة أو نسيج آخر .. احساس حشركى يقترن بانقباض العضلات.. كما أنه ظرف قلق وعدم هدوء بال أو استقرار حال تصحبه مشاعر شد عضلى .. والتوتر مصطلح عام يدل على انقلابات الرضا عن النفس أو الاتزان التفاضلى رأساً على عقب، والجيشان الانفعالى هو المبدأ المميز لفرط التوترات. والتهدج وعدم التأزر وفرط النشاط أعراض شائعة للانقلابات أو التوعكات **upsets** . ويوجد أساس التوتر النفسى - فسيولوجى فى فعل الجزء السمبثاوى من الجهاز العصبى المستقل. ويقال ان التوترات الفسيولوجية والسيكولوجية نتائج ظروف مثل : مشاكل لم تحل، احباطات متصلة، اثار مفاجئة وشديدة، وهموم ومشغوليات مطولة. وحسب الطب السيكوسوماتى : فان التوترات التى لم تحل قد يكون لها أثر ضار على الصحة (كمال دسوقى : نخيرة علوم النفس . ج٢، القاهرة : وكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٩٠، ١٤٨١).

إيذاء الذات. وقد يحدث ذلك عندما يصل مؤذى الذات إلى مرحلة محددة من الهدوء النفسيولوجى فنجده لم يعد يشعر بالحاجة الملحة لإيلاج جسده . إن نقص الأكم قد يرجع سببه إلى الانفصال (التفكك) ^(١) لدى بعض الأفراد مؤذى الذات، كما يرجع إلى الطريقة التى يقوم بها هذا الشخص - مثل : سلوك التركيز على الآخرين .

٣- تفسيرات السلوكيين Behavioralist explanations

ملحوظة : إن اغلب هذه التفسيرات يتم تطبيقها على أنماط إيذاء الذات مثل التى نراها عند المفوسين المتخلفين عقلياً والتوحدين.

لقد تم عمل الكثير من الأبحاث فى مجال علم النفس السأوكى فى محاولة لمعرفة وتفسير منشأ سلوك إيذاء الذات. ففى مقابلة أجراها بلفيور وداتيليو Belfiore and Dattilio (١٩٩٠) لدراسة ثلاثة تفسيرات ممكنة . اذ استشهدا بما أورده فيليبس وموزافر Phillips and Muzaffer (١٩٦٦) فى وصف إيذاء الذات من خلال المقاييس التى أجراها الأفراد على أنفسهم عندما يريدون "قطع ، أو إزالة ، أو تدمير جزء من البدن" . ولقد وجدت هذه الدراسة أيضاً أنه رغم أن تكرار إيذاء الذات كان مرتفعاً عند الإناث ، لكنه عند الذكور أكثر شدة . ولقد أوضح بلفيور وداتيليو Belfiore and Dattilio أيضاً أن مصطلحات " إيذاء الذات" ، " تشويه الذات" خادعه، وأن الوصف الذى قدماه أعلاه لا يناقش الهدف من السلوك . وفيما يلى بعض التفسيرات السلوكية :

(١) الانفصال (التفكك) dissociation : انظر ص : ٤١ .

١- الإشرط الإجرائى Operant Conditioning (١)

ينبغى ملاحظة أن التفسيرات المتعلقة بالإشرط الاجرائى تكون كثيره الفائدة عند تناول أنماط إيذاء الذات ، وتكون قليلة الأهمية مع السلوك العرضى / التكرارى episodic / repetitive behavior .

إن هناك منظورين منهجين يضعهما أمامه كل من يرغب فى تفسير إيذاء الذات فى حدود الإشرط الاجرائى. أحدهما : هو أن الأفراد الذين يقومون بإيذاء الذات يتم تدعيمهم بشكل إيجابى من خلال الانتباه إليهم فيميلون لتكرار سلوكيات إيلاء الذات. وهناك متضمن آخر لهذا المنظور هو أن الإستثارة الحسية المرتبطة بإيلاء الذات يمكنها أن تعمل كمدعم إيجابى (٢) وبالتالي تعتبر

(١) الإشرط الاجرائى : الإشرط أو التشریط : عملية بها تصل استجابة ما الى أن يبعثها تنبيه أو شئ أو موقف غير تلك التى هى استجابته العادية أو الطبيعية. وقد ارتبط لفظ الإشرط فى علم النفس بالإشرط الكلاسيكى (إشرط بافلوف) : ويدل على العملية التى فيها يمكن أن يبعث استجابة ما تنبيه متعادل (محايد ، أو خامل ، أو غير ذى بال) تتكرر مزاجته مع مدعم ما . فالتنبيه المحايد يسمى التنبيه المشروط ، والمدعم هو التنبيه غير المشروط. وفى الاستجابة الطبيعية أو غير المشروطة (أى الاستجابة المتعلمة) فهى الاستجابة المشروطة . أما التشریط الاجرائى أو الادائى - الذى نحن بصدده - يسمى أحياناً التشریط الفاعل : فانه يدل على نوع التشریط الذى فيه يصبح التدعيم طارئاً، وتكون استجابة ألية (أدائية) مشروطة قد أنشئت . ولكون التدعيم الادائى يمكن أن يكون سلبياً، فتعلم الهروب من تنبيه ضار هو أيضاً تشریط ادائى.

(٢) التدعيم reinforcement : أى ظروف أو ملبسات تقوى ارتباط استجابة بتنبيه. أى حال أو حدث يزيد من احتمال كون استجابة سوف تتجدد فى موقف مثل الذى حدث فيه أصلاً ظروف التدعيم . وللتدعيم أشكال متعددة نذكر منها فى هذا السياق :

- المدعم الإيجابى Positive reinforcer : وهو تنبيه يؤدى الى تقوية استجابة ما، أو زيادة احتمال حدوث الاستجابة بتقييم ثواب أو إثابة reward .

- المدعم السلبى Negative reinforcer : لتعليم المرء ألا يقوم باستجابة ما يتم اعطائه تنبيهها غير مرض أو عقابياً أو مزيداً من التوتر (كمال نسوقى : نخيرة علوم النفس، ج٢، القاهرة : وكالة الأهرام للتوزيع ، ١٩٩٠ ، ١٢٥٤-١٢٥٥).

مثيرات لمزيد من إيذاء الذات.

ويفترض المنظور الآخر : أن الأفراد يؤذون الذات لكي يتخلصوا من بعض المثيرات الشديدة أو المؤلمة (إنفعالية ، نفسية، أياً كانت) ..

إن هذا المنظور السلبي للتدعيم أيدته الأبحاث التي توضح أن شدة إيذاء الذات يمكن زيادتها من خلال زيادة متطلبات الموقف. فايلام الذات يعتبر طريقة للهروب من الآلام الانفعالية غير المحتملة .

ب- التلامسات الحسية Sensory Contingencies

أحد الإفتراضات طويلة المدى يرى أن الذين يقومون بإيذاء الذات يحاولون خفض مستويات الاثارة الحسية . إذ أن مؤذى الذات قادرون على زيادة الإثارة الحسية أو خفضها من خلال إخفاء / أو حجب masking المدخلات الحسية الأكثر إثارة للإكتئاب من إيلام الذات .

ويتصل ذلك بما وجده هاينز وويليامز Haines and Williams (١٩٩٧) من أن إيذاء الذات يقدم انطلاقة سريعة ومفاجئة من التوتر والاثارة الفسيولوجية.

ولقد استنتج كاتالدو وهاريس Cataldo and Harris (١٩٨٢) أن نظريات الإثارة برغم أنها مشبعة ومرضية إلا أنها تتطلب مراعاة الأسس البيولوجية لهذه العوامل المرتبطة بإيذاء الذات.